خُلِقتُم للعَمَلِ في رمضان

الشيخ د. محمد بن عبد الغني

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله وحده والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد فإنما توعدون لات وما أنتم بمعجزين أيها الناس لماذا خلقتم؟ أليس للعمل أليس العمل هو الذي يخرج من الدنيا مع الإنسان وحده؟ أليست الدنيا مزرعة وسوق قائمة؟ أليست مواسمها حث وتنشيط للعمل؟ أليست الأعمار رأس الأموال؟ أليست حياة الاخرة مرهونة بعمل الدنيا يقول الله ﷻ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ المسلمون من تفكر في عواقب الدنيا اخذ الحذر ومن أيقن بطول الطريق تأهب للسفر فالبدار قبل الفوات فالدنيا دار عمل والمؤمن فيها كغريب نزل ببلدة او عابر سبيل استظل تحت شجرة يقول ﷺ :« كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل » فالغريب لا يعمر دار الغربة والمستظل لا يبني تحت الشجرة فالدنيا سفر ومعبر وليست بدار مقر يقول ﷺ: « إنما يكفي احدكم إذا كان في الدنيا مثل ذات الراكب فمن استكثر منها ثقل عن حمله » يقول ﷺ : « إن امامكم كؤودا لا يجوزها المثقلون » فانتبه يا عبد الله قد جد بك السير ونودي عليك بالرحيل فيوشك أن تحط ركابك بين الموتى فلست تسمع الا كان ثم مضى ويلحق الاخر الباقي والناس في سكرة من خمر جهلهم وافصحوا في عسكر الأموات لو شعروا فتعاقب الشهور عبر ومجيء رمضان عاما بعد عام التي كر كم من احباب كانوا معنا واملوا ما املنا اتاهم ما سيأتينا. قيل لعطاء السلمي في مرضه الذي مات فيه كيف أنت؟ قال الموت في عنقي والقبر في يدي والقيامة موقفي وجسر جهنم طريقي ولا أدرى ما يفعل بي وكان ابو ذر ﷺ وارضاه يقول للناس: « يا أيها الناس اني لكم ناصح اني عليكم مشفق صلوا في ظلمة الليل لوحشة القبور وصوموا الدنيا لحر يوم النشور

وتصدق فتفكروا عباد الله لما امامكم واستعدوا لحياتكم فالخير بحذافيره في الجنة والشر بحذافيره في النار﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُ ﴾» فلا تسوف يا عبد الله فمن اطال الأمل وسوف في العمل لن يستيقظ الا اذا رأى الأهوال وفات وقت العمل ولات حين مناص ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴾ ليس الان وقت التذكر ولا ينفع التمني يا ليتني قدمت لحياتي ما ثم هناك الا الندم وتذكر التفريط في العمل يوم يتذكر الإنسان ما سعى كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا فمن الموت ينقطع العمل وتبدأ حياة البرزخ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾ وفي البرزخ اهوال وزلازل وفتن لا مؤنس فيه الا العمل إن كان صالحا والا فلا يزال معذبا فيه حتى يبعثه الله ﷻ تذكر يا عبد الله تذكر ما امامك لعل افاقة تحصل وعملا يحصل وعمرا يستغل تذكر يوم الله الاخر ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾ هذا قول الكافرين فيجيب اهل الايمان ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ في هذا اليوم عباد الله تفزع الخلائق ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض لان الكرب عظيم يوما عبوسا قمطريرا يوما كان مستقرا يوم يدعو الداع وهو اسرافيل عليه السلام : ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴾ اي الى امر فظيع تنكره الخليقة لأنها لم ترى منظرا أفظع ولا اهون منه خشع ابصارهم اي من الهول والفزع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة خشعت منهم الأبصار وانقطعت الأصوات ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ

﴿ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ ﴿ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴾ اي من كثرتهم ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴾ ﴿ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾ ﴿ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴾ ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴾ اي نفخ في الصور ﴿ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾ في هذا اليوم أيها الناس ترجف الراجفة ثم تتبعها الرادفة تمتلئ القلوب خوفا وهلعا ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴾ ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ خافت القلوب واكتظمت الأصوات في الحناجر الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار عباد الله ما أعظم هول يوم القيامة نفخ في الصور ففزع الخلائق قياما لربهم قد احاط الهول بهم سماء فوقهم تتشقق ثم تبسط ويطويها الجبار بيمينه وغمام يثور ثوران الدخان وملائكة تتنزل تحيط بالناس صفوفا ورب العزة يجيء لفضل القضاء بين العباد وجبال تطير كالسحاب وارض تزلزل وترجف رجفة بعد رجفة وترج رجا وبحار تسجر وتنقلب نارا والشمس تكور والقمر يخسف والنجوم تطمس والطيور والوحوش تحشر مع الناس والشياطين فتشخص الأبصار وتصل القلوب الى الحناجر ويشتغل كل امرئ بما فيه ويفر الإنسان من امه وابيه وصاحبته وبنيه ويطول على الناس الموقف ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ لا شراب ولا طعام بل يغرقون في العرق يوم التلاقي ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ ﴾ يشهد الأنبياء بالبلاغ ويشهد الشهداء من الملائكة على اعمال بني آدم ﴿ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ في هذه الأهوال يؤتى بجهنم تجر جرا يجرها

اربعة الاف وتسعمئة مليون ملك فتزفرالزفرة فتجث الأمم منها على الركب فيزداد فزع الخلائق فيولون مدبرين ينادي بعضهم بعضا يوم التناد يوم تولون مدبرين ولكن اين المفر؟ ما لكم من الله من عاصم الى ربك يومئذ المستقر والملك على ارجائها يتلقفونهم فيردونهم الى محشرهم ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا ﴿ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ وفي هذا الهول تتطاير صحائف الأعمال ويبدأ العرض على الجبار ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ وفي هذه الشدة الشديدة يقول الله ﷻ : يا ادم فيقول: لبيك وسعديك فيقول: اخرج بعث النار من ذريتك فيقول: يا رب كم أخرج؟ فيقول الله: من كل ألف تسعمئة وتسعون قال: فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (متفق عليه) ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴾ ثم يوضع الميزان قال ﷺ : « فلو وزن فيه السماوات والأرض لوسعته » ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ نعم أيها المسلمون ثم الصراط على متن جهنم وهو ادق من الشعر وأحد من الموس وعلى حافتيه كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت بأخذه فيمر الناس على قدر اعمالهم قال ﷺ واخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا ربي لما ابطأت بي؟ فيقول أبطأ بك عملك فالعمل العمل عباد الله والبدار البدار كل الناس يغدوا فبايع نفسه فمعتقها او

موبقها فاعتقوا انفسكم في زمان الإمكان ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة فانتبهوا لدنياكم فإنها ساعة عمل ومحطة تزود لا سيما وأنتم في شهر حفته الفضائل وفتحت للمقبلين عليه الجنان واوصدت النيران واغلت الجان ولم يبق الا تلبية يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر أقصر فيا حسرة من فرط ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع . أيها المسلمون من رحم في رمضان فهو المرحوم ومن حرم خيره فهو المحروم ومن لم يتزود فيه لميعاده فهو الملوم شهر ألف والهبات وها هو قد بدا في توديعكم ولم يبق منه الا القليل نهايات تزداد فيها الحسرات ولحظات تسكب فيها العبرات ولا عجب من اسف على فوات الخيرات ايام ليس لها في الدهر مثلها صفدت فيها الشياطين وفتحت فيها ابواب السماء وغلقت ابواب الجحيم ونادى فيها المنادي يا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر أقصر، يقول ﷺ : « **من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه** » ولكن أيها المسلمون الخير فيما بقي كثير كيف لا؟ وأنتم في اول العشر التي فيها ليلة القدر وهي الليلة التي عظم شرفها فرصة العمر وغرة الشهر وفوز الدهر عظمها الله تعظيما ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر اي من عبادة الف شهر وذلك خيرها وبركتها قال الله تنزل الملائكة والروح فيها قال الامام ابن كثير: «أي يكثروا تنزل الملائكة في هذه الليلة بكثرة بركتها انا انزلناه في ليلة مباركة » يقول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ان الملائكة تلك الليلة في الأرض اكثر من عدد الحصى ليلة امن وسلام من كل مكروه سلام هي حتى مطلع الفجر فيا اهل التنافس يا باغي الخير اقبلوا هذا ميدانكم واياكم والغفلة يقول ﷺ : « **ان هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من الف شهر من حرمها**

فقد حرم الخير كله » لا يحرم خيرها الا محروم وقال ﷺ : « لله فيها ليلة هي خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم » .

أيها المسلمون الليالي معدودة والأيام قليلة يقول ﷺ : « اطلبوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان » . ولكن في اي العشر ثبت عن النبي ﷺ انها إحدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وليلة خمس وعشرين وليلة سبع وعشرين وليلة تسع وعشرين وفي اخر ليلة من رمضان وهذا يدل على انها ليست ثابتة في ليلة معينة بل تتنقل بين ليالي العشر قال الامام النووي عليه رحمة الله وهذا هو الظاهر المختار لتعارض الأحاديث الصحيحة في ذلك ولا طريق الى الجمع بين الأحاديث الا بانتقالها وليعلم ان ليالي الأوتار ارجى من الأشفاع لقوله ﷺ : « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » . وقال ﷺ : « التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان في الوتر » . وارجى الأوتار ليلة سبع وعشرين حلف على ذلكم ابي بن كعب كما عند مسلم ولليلة القدر علامات ظاهرة يقول ﷺ : « ان امارة ليلة القدر انها صافية بليجة » اي مشرقة كان فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب ان يرمى به فيها حتى تصبح وان امارتها ان الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس فيها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان ان يخرج معها. فتداركوا انفسكم عباد الله بادراكها واحيائها ايمانا واحتسابا ولكم في رسول الله ﷺ قدوة واسوة عائشة رضي الله عنها وارضاها كان رسول الله ﷺ اذا دخل العشر شد مئزره واحيا ليله وايقظ اهله. ولمسلم كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر اخي ما لا يجتهد في غيره وكان ﷺ يعتكف في المسجد ايام العشر يطلب فيها ليلة القدر فكان يعتزل الناس ولا يخالطهم قطعا لأشغاله وتفريغا لباله ولذلك قال العلامة ابن رجب: «معنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلايق عن الخلائق

للاتصال بخدمة الخالق» فرمضان شهر الجهاد جهاد بالليل على القيام وتلاوة القرآن وجهاد بالنهار على الظمأ والصيام فمن جمع بين هذين الجهادين ووفى بحقوقهما وصبر عليهما وفى اجره بغير حساب فاجتهدوا عباد الله فالأنفاس معدودة والآجال مضروبة وكل الناس يغدوا ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون واكثروا من قول اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني ففي الصحيح ان عائشة رضي الله عنها وارضاها قالت يا رسول الله ارأيت ان وافقت ليلة القدر ما اقول وفي رواية ان وفقت الى ليلة القدر أقول فاعرفوا أيها المسلمون اعرفوا شرف زمانكم واعرفوا قدر النعمة التي بلغكم الله اياها فخلصوا انفسكم بالصيام من النيران يقول ﷺ : «الصيام جنة وحصن حصين من النار» وتذكروا قول نبيكم ان لله ﷻ عتقاء في كل في كل يوم وليلة وان لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة فسلوا الله من فضله فأبواب الخير مفتوحة وتذكروا قول رسولكم بعد من أدرك رمضان فلم يغفر له واعلموا ان الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في الاستعداد للقاء الله واتباع الهدى فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشق ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى فشمروا يا اهل الصيام والقيام فهذا شهركم والموعد الجنة يقول ﷺ : «ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن اطعم الطعام وتابع الصيام بالليل وصلى والناس نيام» .